العنوان:	الموازنات العرقية في السياسة العباسية العصر العباسي الأول 750- 847 م
المصدر:	مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - كريمة - جامعة دنقلا - السودان
المؤلف الرئيسي:	الحسين، كمال الحاج
المجلد/العدد:	ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الصفحات:	44 - 47
رقم MD:	688713
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الدولة العباسية ، الملوك و الحكام ، الموازنة ، العرب، الفرس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/688713

الموازنات العرقية في السياسة العباسية
العصـــر العباسي الأول (٧٥٠ -٨٤٧ م)

د.كمال الحاج الحسين
أستاذ مساعد – كلية التربية مروي

كان للفرس دورٌ واضحٌ في نجاح الدعوة والثورة العباسية عبر مراحلها المختلفة ، ذلك بفضل بعض الشخصيات الفارسية التي امتازت بقدرات فائقة ونشاط دؤوب ساهم في جذب المؤيدين .جاءت مساهمة الفرس فاعلة في قيام الدولة العباسية لأسباب منها :

إقصاء بني أمية للعناصر غير العربية من مرافق الدولة المختلفة ، وفوق ذلك فإن الشعار الذي رفعه العباسيون يخدم مصالح الفرس وهو الدعوة لآل البيت ، فالنداء بأحقية آل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في الخلافة يتناسب ونظرية الحق الإلهي الفارسية الأصل ، ونضيف إلي ذلك مصاهرة الحسين بن علي بزواجه من ابنة آخر ملوك فارس .

مثل الفرس السند الأكبر للدعوة والثورة العباسية ، فأصبحوا بذلك محل ثقة العباسيين ، وقد يكون ذلك الاختيار ناجماً عن أن أهل الشام والجزيرة العربية لهم ميول لا تصادف هوى العباسيين، «أما أهل الشام فليسوا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وأما مكة والمدينة، فقد غلب عليها أبو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فان هنالك صدور سليمة ، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل (الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ١٩٨٩ م ، ص-١٤ ١٥)

هنالك العديد من الأسماء الفارسية اللامعة في مجال الدعوة العباسية في طورها السري ومن هؤلاء بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلال، وفي مجال الثورة والدور العلني والعسكري يبرز اسم أبو مسلم الخراساني ، وفي مجال الإدارة والحكم يظهر واضحاً دور أسرة البرامكة علي عهد الرشيد . كان لبكير بن ماهان شأن عظيم عند العباسيين وقد قال فيه صاحب الدعوة العباسية «قد وجهت إليكم شقة مني بكير بن ماهان فاسمعوا منه وأطيعوا وافهموا عنه ، فإنه من نجباء الله» . (ثريا حافظ عرفة ، الخراسانيون ودورهم السياسي ، ١٩٨٢ ، ص -٣٢ ٣٣)

خلف بكير بن ماهان في قيادة الدعوة العباسية في الكوفة أبو سلمه الخلال وهو من الموالي الفرس ، وقد اضطلع بمهام الدعوة حتي قدم أبو العباس السفاح الكوفة ، وكتم الخلال أمر قدوم السفاح إلي الكوفة حتي لا ينكشف أمر القائد ، لكنه أُتهم بخيانة العباسيين ومحاولة نقل السلطة إلي العلويين «حتي قدموا الكوفة فأنزلهم أبو سلمه دار الوليد بن سعد وكتم أمرهم نحو من أربعين ليلة». (الطبري ، ج ٦ ، ص ٨٠)

أجمع المؤرخون علي إسناد الدور الأعظم في الحركة العباسية لأبي مسلم الخراساني «أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وأحد من قام بأمرهم حتي تم له ذلك ، ووطأ لهم البلاد(ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، د .ت، ص ٣٣٥). ذلك لنجاحه في هزيمة الأمويين وتحقيق النصر للعباسيين. أشاد العباسيون بالدور الكبير الذي لعبه الفرس في قيام الدولة العباسية وتنصيب السفاح خليفة للدولة فقال فيه داؤد بن علي عم الخليفة «حتي أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا (الطبري ، ج ٦، ص٨٤). وقال فيهم الخليفة المنصور : «يا أهل خراسان ، أنتم

شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا». (الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، د. ت ، ص٩٥). هكذا كانت نظرة الخلفاء العباسيين للفرس ، وقد نال الفرس بذلك ثقتهم فتقلدوا مناصب مهمة في الدولة علي عهد الخلفاء العباسيين ، ذلك مكافأة لهم للدور الذي لعبوه وإعطاؤهم وزنهم السياسي ، وكان منهم الوزراء منذ قيام الدولة العباسية حتي ظهور العنصر التركي علي أيام الخليفة المعتصم .

رغم الدور الذي قام به الفرس في قيام الدولة العباسية وتوطيد أركانها، فإن العباسيين سعوا إلي تصفية العناصر الفارسية الفاعلة نتيجة للمؤامرات التي دبروها ضد الخلفاء العباسيين . ورغم اكتشاف العباسيين لبوادر الكيد الفارسي لدولتهم ، إلا انهم ظلوا يحتفظون بالفرس في مناصب الدولة المختلفة ، خوفاً من الثورات الفارسية وحفاظاً علي دولتهم حديثة التكوين.

أول من أُتهم من الفرس بموالاة العلويين هو أبو سلمة الخلال ، الذي رأينا دوره العظيم في الدعوة العباسية ، فقد اتهم بخيانة العباسيين قبل تنصيب الخليفة الأول ، فكان احتجازه للخليفة الجديد وبعض من أسرته أربعين ليلة بالكوفة ، زاعماً أن هذا ليس وقت ظهور الإمام لأن الأمويين مازالوا يقاومون وأراد فيما ذُكر أن يحول الأمر إلي آل أبي طالب ... وكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول : « لا تعجلوا هذا ليس وقته». (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ د. ت ، ص ٤٠٩ -٤١٠).

مما يدل علي محاولة الخلال لدعم العلويين ، محاولته الاتصال ببعض أفراد البيت العلوي ، عارضاً عليهم تولي أمر المسلمين، فأرسل كتاباً سرياً إلي الإمام جعفر الصادق يعرض عليه أمر الدعوة له، وكاتب أبو سلمه أيضا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في ذات الشأن .

تجاوز الخليفة العباسي الأول تلك الهفوة للخلال لأنه كان من أشهر الدعاة واظن أنه لم يرد الانتقام من أبي سلمة في ذلك الوقت المبكر من قيام الدولة ، تحقيقاً لمبدأ الموازنة السياسية القائمة بين العنصرين العباسي والفارسي وخوفاً من تذمر العناصر الفارسية ، صاحبة الفضل في قيام الدولة ،فكان أن أسند الخليفة السفاح أمر الوزارة إلي أبي سلمة الخلال «فلما صارت لأبي العباس الإمرة ولي أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه ، وجعله وزيره وأسند إليه جميع أموره فكان يسمي وزير آل محمد (الدينوري ،الإخبار الطوال ، ١٨٨٨م، ص ٣٣٦).

لم يغب عن بال السفاح موقف الخلال، بل ذهب للشك في أن يكون لأبي مسلم دورٌ في تلك المؤامرة، وساورت الشكوك أيضا أبو جعفر المنصور فقال «ما يدريكم ، لعل ما صنع أبو سلمة هذا كان من مكاتبة العلويين، وحجزنا في الكوفة أربعين يوماً ،كان عن رأى أبي مسلم(عبد الجبار الجومرد ، أبو جعفر المنصور ١٩٦٣م ، ص١٠٩). كان أبو العباس قد هم بابي سلمة ، لكن أشار عليه بعض زعماء العباسيين سرقة رأي أبي مسلم فيما ذهب إليه السفاح، وهذا دليل آخر علي وضع الموازنة العرقية في الحسبان ، يقول الجهيشاري .. وكان أبو العباس هم بابي سلمة ، فقال له داؤود بن علي : «لا آمن عليك أبا مسلم إن فعلت أن يستوحش (الجهيشاري، الوزراء والكتاب ، ١٣٥٧هـ ، ص ٩٠).

طريقة القضاء علي أبي سلمة الخلال كان فيها أيضاً الحسابات العرقية، وتخوف فيها العباسيون من غضب الفرس، فكان إن استخدموا أبا مسلم الخراساني في تصفية الخلال، ولم يحاول أبو مسلم نفي تهمة الخيانة عن أبي سلمة الخلال ، فعمد إلى القضاء عليه ، وأعتقد أن إقدام أبي مسلم الخراساني علي قتل الخلال قد أراد به كسب ود العباسيين والوصول إلي أرفع المناصب . ويورد ابن كثير قول أبي مسلم في

ذلك: «أفعلها أبو سلمة : أنا أكفيكهم ... اذهب إلي الكوفة بحيث لقيت أبا سلمة فاقتله» (ابن كثير، البداية والنهاية ج١٠، ١٩٨٨، ص ٥٣).

حفاظاً علي التوازن العرقي فإن اتهام واغتيال أبي سلمة الخلال لم يمنع السفاح من أن يولي خالد بن برمك ،وزارته وهو فارسي الأصل ، ووثّق هذه العلاقة الجديدة بدفعه لابنته لترضعها زوجة خالد يقول الجهشاري «دفع أبو العباس بابنته إلي خالد بن برمك حتي أرضعتها زوجته (الجهيشاري، ١٣٥٧هـ ص ٨٩).

دارت الدائرة علي أبي مسلم الخراساني ، صاحب الفضل في الانتصارات العسكرية للدولة العباسية، بل سعي لتوطيد دعائم الدولة الناشئة فقضي علي الكثير من المتمردين ضد الحكم العباسي . كل تلك المجهودات لم تنقذه من سطوة الخليفة المنصور ، الذي أحس بخطورة أبي مسلم منذ أيام الخليفة السفاح ، بل إنه أشار إلي السفاح بالتخلص منه خوف نفوذه وتمرده علي الدولة إلا أن السفاح وحرصاً منه علي خلق توازن سياسي في الدولة يراعي جانب الفرس أبقي علي أبي مسلم قائداً لجيوشه، لأن القضاء عليه ربما يقود إلي ثورات فارسية .قضي المنصور حين تولي الخلافة علي أبي مسلم ،مما أدي إلي نشوب ثورات فارسية في وجهه مطالبة بالثأر من قتلة أبي مسلم ومن تلك الثورات الراوندية وثورة سنباذ.

لا يخف علي احد إسهامات البرامكة خلال العصر العباسي الأول ، وقد امتدت فترتهم ، لما يقرب من نصف القرن ، تبدأ من دخول خالد بن برمك في صفوف الجيش العباسي ، وتنتهي فترتهم ذائعة الصيت علي عهد هارون الرشيد التي بلغت سبعة عشر عاماً . «إن السفاح لما عقدت البيعة له ، حضره خالد بن برمك فرأى فصاحته فأعجب به السفاح واقره علي ما كان عليه من الغنائم».(منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصـول الحكم، (د. ت) ، ص٢٥٥).

استمرت علاقة البرامكة الفرس بالعباسيين ، بل توطدت أكثر علي أيام الخليفة هارون الرشيد ،خاصة بعد دعم يحيى بن خالد البرمكي لهارون الرشيد للوصول للخلافة ، فكافأه الرشيد بأن صير إليه الأمور كلها «لما أفضت الخلافة إلي هارون الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له: ياأبت أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر، ودفع خاتمه إليه».

(المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ١٩٨٣م ، ص ٣٣٧) . استفاد يحيى بن خالد من خصوصية العلاقة بينه وبين الخليفة الرشيد في التمكين لنفسه ولأبنائه ، خاصة الفضل وجعفر في بلاط الخليفة . وبذلك تمتع البرامكة بنفوذ واسع داخل البلاط العباسي اجتماعياً وسياسياً ، حتي أن الرشيد دفع بابنيه الأمين والمأمون ليكونا تحت رعاية هذه الأسرة . بلغ نفوذ البرامكة مبلغاً عظيماً،فأصبحت لهم مجالسهم الخاصة التي تضاهي مجالس الخليفة الرشيد نفسه ، بل إن الخليفة كان يحضر مجالس البرامكة . استفاد البرامكة من ذلك النفوذ والسلطان في عهد الرشيد، وعملوا علي صرف أنظار الناس إليهم دون الخليفة ، فأغدقوا الأموال علي الناس والشعراء. يؤكد استبداد البرامكة بالأمر والرأي ، وأنهم خطر علي الخليفة ، إن الفضل بن يحيى كون فرقة عسكرية خاصة به، قوامها عجم خراسان «ذكر أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجم وجعل ولاءهم له». (المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص ٣٣٧) .

أحس الخليفة هارون الرشيد بما آل إليه حال البرامكة وافتتان الناس بهم ، وفوق ذلك استبدادهم بأمور الدولة ، فكانت الخلافة في واقع الآمر ليحيى وأبنائه ، وليس للخليفة الرشيد منها إلا الاسم «أنه لما بلغ جعفر بن يحيى ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك مابلغوا من الملك ، وتناهوا إليه

من الرياسة واستقامت لهم الأمور حتي قيل ، إن أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول» .(المسعودي ، مروج الذهب، ج٣، ص٣٧٥). ظل الخليفة العباسي يحتفظ بأسرة البرامكة في مناصبهم الإدارية والعسكرية ، رغم تهديدهم لسلطته ويعود ذلك أيضاً لتحقيق نوع من التوازن بين العنصرين الفارسي والعباسي ولفترة سبعة عشر عاماً ، حتي حانت له الفرصة للقضاء عليهم .

حظي الفرس بذات المكانة علي أيام المأمون الذي وجد دعماً قوياً منهم ، بحكم أن أمه فارسية الأصل، فكان رد الجميل لهم بأن جعل لهم أمور الدولة ، وعلي رأس هؤلاء يأتي الفضل بن سهل ، الذي لقب بذي الرياستين ، دلالة علي قيامه بتدبير الشؤون الإدارية والعسكرية ، هذه الخطوة من الخليفة المأمون ورغم إدراكه التام بالمؤامرات الفارسية ، تدل علي حرصه علي بقاء التوازن الاثني في دولته ، إلا أن الميول العلوية للفضل بن سهل جعلت منه صيداً سهلاً للخليفة المأمون - وكان الذين قتلوا الفضل من جيش المأمون. (الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٧، ص١٤٨).

ثار الفرس في وجه الخليفة المأمون بعد مقتل الفضل بن سهل ، واستطاع المأمون تهدئة المواقف استناداً علي الموازنة العرقية. فكان أن استخدام علي الرضا العلوي في تهدئة الثوار الفرس خاصة وأن الفرس كانوا أصحاب ميول علوية .بعد ذلك وثق المأمون علاقته بالفرس لحفظ التوازن في دولته، فكان أن استعان بالحسن بن سهل وفوق ذلك تزوج من ابنته بوران .

مجمل القول أن الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول،استعانوا بالفرس في نشر دعوتهم وإقامة دولتهم ، مما جعل لهم النصيب الأكبر دون غيرهم من القوميات في إدارة شؤون الدولة العباسية ، أراد العباسيون بذلك مكافأة العناصر الفارسية لدعمهم للدولة ولخلق نوعاً من الموازنة بين العنصرين العربي والفارسي الذين كانوا قوام الدولة ، فكان من العباسيين الخلفاء ومن الفرس الوزراء.

قائمة المصادر والمراجع:

١/ إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ، ج ٥ ، د. ت .

٢/ إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، ج ١، د . ت.

٣/ إبن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨ م .

٤/ الجهيشاري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الابراهيم الابياري وآخرين ، مطبعة مصطفي الحلبي ، القاهرة، ط ١ ، ١٣٥٧ هـ .

٥/ الحوفي ، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ٣، د . ت.

٦/ الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق فلاديمير جرجاس ، ط١ ، ١٨٨٨م.

٧/ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ج٦ ، ط ٥ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨/ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ج٣، ط٥ ١٩٨٣م.

٩/ ثريا حافظ عرفة ، الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، جدة ،١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١٠/ عبد الجبار الجو مرد ، أبو جعفر المنصور ، دار الطليعة ، بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣-م.

١١/ منير العجلاني ، عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، دار الكتاب الجديد ، ط٢، د. ت.